● نحن والمجتمع

مكانة المرأة في الإسلام

الوفاق / وكالات - الإسلام حين ينظر إلى الرجل بوصفه إنساناً وينظمه ويوجهه ينظر إلى المرأة باعتبارها إنساناً أيضاً ، ويساويها مع الرجل على الصعيد الإنساني في كل تنظيماته وتوجيهاته لأنهما سواء في كرامة الإنسانية وحاجاتها ومتطلباتها . وأما حين ينظر الإسلام إلى المرأة بما هي أنثى وينظم أنوثتها ويوجهها، ينظر في مقابل ذلك إلى الرجل باعتباره ذكراً ، فيفرض على كل منهما من الواجبات، ويعطي لكل منها من الحقوق، ما يتَّفق مع طبيعته، وفقاً لمبدأ تقسيم العمل بين أفراد المجتمع، وتنشأ عن ذلك الفروق بين أحكام المرأة وأحكام الرجل .فمَرَدُّ الفرق بين أحكام المرأة وأحكام الرجل إلى تقدير حاجات ومتطلبات الأنوثة والذكورة، وتحديد كل منهما وفقاً لمقتضيات طبيعته.

أمّا في مجال التنظيم الذي يرتبط بإنسانية الإنسان فلا فرق فيه بين المرأة والرجل ، لأنهما في نظر الإسلام إنسان على السواء. فالإسلام وحده هو الذي نظر إلى المرأة نظرة إنسانية على قدم المساواة مع الرجل ، بينما لم تنظر الحضارات الأخرى وحتى الحضارة الأوربية الحديثة إلى المرأة إلا بوصفها أنثى، والموقف الحضاري لكل مجتمع من المرأة ينعكس بدرجة كبيرة، بمقدار تغلغل تلك الحضارة على دور المرأة في تاريخ ذلك المجتمع، وطبيعة موقفها من الأحداث. فالمرأة في مجتمع يؤمن بإنسانية المرأة والرجل على السواء تمارس دورها الاجتماعي بوصفها إنسانا، فتساهم مع الرجل في مختلف الحقول الإنسانية، وتقدم أروع النماذج في تلك الحقول نتيجة للاعتراف بمساواتها مع الرجل على الصعيد الإنساني.

بطولات المرأة المسلمة

سجلت المرأة المسلمة التي اعتمدت ببطولتها على إنسانيتها في التاريخ الإسلامي أروع صفحات كتبتها بالتضحية والفداء، وخطَّتها بدماء الآباء والأبناء، بعد أن أكَّد الإسلام على اعتبارها في الصعيد الإنساني كأخيها الرجل لا أكثر ولا أقل. فكما أن بطولة الرجل المسلم كانت في مجالين وفي اتجاهين، في مجال التضحية والجهاد، وفي مجال الدعوة إلى الله تعالى، كانت بطولة المرأة المسلمة أيضا في نفس المجالين، وفي كلا الصعيدين كانت تعمل كإنسانة لا كأنثى .

أما على صعيد حمل الفكرة، ونشر الثقافة الإسلامية، ومفاهيم الشريعة الجديدة وأحكامها ، فما أكثر النساء اللّواتي أخذْنَ الإسلام من منبعه فبشَّرن به ودعون إليه، بعد أن تعمَّقن في فهمه، وكنَّ مدارس إسلامية يَروين عن النبي ويروى عنهُنَّ، وفي طليعة الراويات عن النبي(ص) والناشرات لأحكام الإسلام الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء(ع)، والمرأة المسلمة اليوم هي إبنة تلك المرأة المسلمة التي وقفت بوجه الأعداء، وشهدت بعينها قتل الآباء والأبناء، فما الذي يقعد بالمرأة المسلمة البنت عن أن تُعيد تاريخ المرأة المسلمة الأم، وأن تقفو خطواتها في الحياة؟! ومن أن تشقَّ طريقها في الحياة ثقافة وعملاً مع محافظتها على حِجابها الذي يلزمها الإسلام به.

سقط العديد منهن شهيدات للواجب الوطني

المرأة المصرية في مراحل النضال ضد المستعمرين

الوفاق /وكالات

لقد برزت المرأة في البلدان العربية إلى جانب الرجل في حركة التحرر الوطني وقدمت التضحيات الكبيرة في مراحل النضال ضد المستعمرين والمحتلين الأجانب وساهمت في المعارك التي خاضتها الجماهير من أجل الاستقلال والحرية، ففي مسيرة الكفاح الوطني من أجل الاستقلال والنضال الإجتماعي من أجل الحرية والاستقلال الوطني والعدالة والمساواة، برزت مناضلات في كل أرجاء الوطن العربي من مصر والجزائر والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان وغيرها من البلدان العربية ممن خضن غمار الكفاح الوطني ونلن قسطهن من عواقبه من سجن وتعذيب، وسقط العديد منهن شهيدات للواجب الوطني مثلهن مثل الرجال فظهرت قافلة من المناضلات والشهيدات من كل الأقطار العربية تُسجل بطولة المرأة العربية ومشاركتها للرجال في الدفاع عن الوطن والاستقلال.

عندما ثارت المرأة المصرية ضد الاحتلال الأجنبي

أبرزت مشاركة النساء في الحروب الوطنية ضد الغزاة المستعمرين الفرنسيين ومن بعدهم الإنجليز، أهمية دور المرأة في القضايا المصيرية للأمة، وكانت النساء المصريات قد قمن بدور كبير في مساعدة الرجال في مقاومة حملة نابليون التي تعد الحملة العسكرية الأجنبية الأكثر دناءةً وانحطاطاً من الناحية الأخلاقية في التاريخ الحديث لمصر. فقد قتل الفرنسيون أدعياء التحضر آنذاك، نحو ٣٠٠ ألف من المصريين في ثلاثة أعوام من التقتيل الهمجي والإجرامي ضد شعب ثبت من اللحظة الأولى أنه غير قابل لاحتلال بلاده من قبل هؤلاء المستعمرين الأوروبيين.

في زمن "الحملة الفرنسية" على مصر وتحديداً في سبتمبر عام ١٧٩٨م في ذلك التاريخ أمر نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية بهدم المقابر الموجودة بجوار بعض بيوت القاهرة القديمة، تمهيداً لإعادة تخطيط المنطقة من جديد، وعندما بدأت عمليات الهدم امتدت أيضاً إلى بعض البيوت في تلك المنطقة وطرد سكانها منها، عندها خرجت مظاهرة نسائية كبيرة لم تذكر كتب التاريخ للأسف أسماء من شاركت فيها لتتوجه بشجاعة إلى منطقة "الأزبكية" مقر حكم القائد الفرنسي "نابليون بونابرت"، الذي فوجئ بتلك المظاهرة التي دفعته للتراجع عن قراره السابق بهدم المقابر والبيوت ليسجل التاريخ أول انتصار مصري على الحملة الفرنسية وهو الانتصار الذي حمل الطابع النسائي.

ووقفت النساء المصريات في قرى محافظة المنوفية في قتال شرس ضد الغزاة الفرنسيين في عام ١٧٩٨، مما حدا بأحد ضباط الحملة الفرنسية إلى رصد تلك الواقعة بالقول بأن نساء القريتين كن يهاجمن الجيش الفرنسي بكل بسالة، لكن ذلك الجيش أعمل بأسلحته الحديثة تقتيلاً في القريتين فسقط أكثر من ٤٠٠ شهيد وشهيدة على أيدي الغزاة الفرنسيين المجرمين.

كما قامت النساء بدور كبير في الحرب الشعبية ضد الحملة الإنجليزية الإجرامية عام ١٨٠٧ (حملة فريزر)، التي تم سحقها، وطردها من مصر تجر أذيال الهزيمة والخزي، بفضل تضافر الرجال والنساء من أبناء الشعب في مقاومتهم والتي صارت مضرباً للأمثال في المقاومة الشعبية ليس في مصر فقط ولكن في كل العالم.

وفي ثورة ١٨٨١ كانت مشاركتها عبر توقيعات نسائية لدعم عرابي وعن طريق جمع التبرعات في اليوم الثاني لضرب مدينة "الإسكندرية"، وتكوين فرق لتحضير الضمادات ولوازم الجرحى لإرسالها للأطباء.

نساء ثورة سنة ١٩١٩ ضد الاحتلال البريطاني وسقطن شهيدات في مصر

أمّا ثورة ١٩١٩، شهدت خروجاً عظيماً للنساء المصريات في المظاهرات المطالبة بالحرية والاستقلال حيث كانت أعلام مصر ترفرف بين أيدي مجموعات من النساء المتشحات بالسواد وهن يهتفن بالاستقلال التام، مما جعلهن في مرمى المستعمر وصوبت البنادق باتجاههن، أسفر ذلك عن سقوط العديد من الشهيدات أولهن كانت "شفيقة محمد عشماوي" التي خرجت في حشمة ووقار، ضمن ثلاثمائة من كرام سيدات العائلات، ليقدمن احتجاجا مكتوباً إلى معتمدي الدول يطلبن فيه الاستقلال ويدافعن عن قادة ثورة ١٩١٩.

ويحكي التاريخ أن "شفيقة" قد شاركت في مظاهرة يوم ١٠ نيسان/ أبريل، وهي أول مظاهرة نسائية في الثورة، وهي من الأحداث الهامة في تاريخ الثورة وتاريخ مصر الحديث، وقالت شفيقة آنذاك لأحد الجنود: أطلق بندقيتك في هذا الصدر لتجعلوا في مصر "مس كافل" أخرى، في إشارة للممرضة التي أسرها الألمان في الحرب العالمية الأولى وأعدموها رمياً بالرصاص، وكان لمقتلها صدى عالمي ضخم.

انطلقت المظاهرة بقيادة "شفيقة" في شوارع القاهرة حتى وصلت إلى مقر المعتمد البريطاني "ملن سيتهام" لتقديم احتجاج له وعند اقترابهن من المقر، حاصرهن العساكر الإنجليز بالبنادق لردعهن وإجبارهن على الابتعاد، في الوقت الذي وقف فيه المعتمد البريطاني يراقبهن مندهشاً من إصرارهن وجرأتهن أمام البنادق.

وبالرغم من رفض القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني مقابلتها فقد استطاعت اختراق الحصار المفروض عليهن من جانب الجنود الإنكليز وهي تحمل العلم المصري في يد وبيان الاحتجاج في اليد الأخرى، واستطاعت مقابلة القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني وتسليمه الاحتجاج على الأعمال الوحشية التي يقوم بها الإنكليز ونفي زعماء الوفد إلى مالطا، وبعد نقاش حاد معه غادرت شفيقة دار المعتمد البريطاني بعد تهديده لها بالاعتقال وما إن خرجت شفيقة من مكتب المعتمد البريطاني حتى تعقبها رجاله ليقتلوها برصاصات متعددة اخترقت الصدر والبطن وسط هتافات نساء مصر "تحيا الحرية.. في ذمة الله يا شفيقة". وتم تشييع جنازتها في جنازة مهيبة شاركت فيها كل طبقات الأمة.

استشهدت شفيقة، إلا أن شهادتها فتحت الباب لعشرات المظاهرات النسائية في أرجاء مصر، والتي راح ضحيتها مئات من الشهيدات ومنها ثورة ١٦ آذار التي قادتها "حميدة خليل" والتي انطلقت من حي الجمالية بمدينة القاهرة، خرجت تهتف بسقوط الاحتلال البريطاني، وتطالب بعودة الزعيم المنفي سعد زغلول، وكان سقوط واستشهاد "حميدة خليل" بالرصاص الانجليزي وهي تشارك في الصفوف الأولى أثناء تظاهرة أمام مسجد الحسين (ع)، هو المفجر الأساسي لثورة ١٩١٩، فبعد سقوطها خرجت أول تظاهرة نسائية مكونة من ٣٠٠ سيدة وطفن بالقنصليات والسفارات الأجنبية ببيان احتجاج على بقاء الاحتلال البريطاني لمصر، وقد فاق تأثيرهن عددهم بكثير؛ فلأول مرة تتواجد النساء في الشارع بشكلٍ علني وبهذه الكثافة، ودون تواجد الرجال، وواجهن الجنود بشجاعة منقطعة النظير،

بعد ذلك التاريخ وفي عام ١٩٤٦ وفي انتفاضة الطلبة التي يتجاهلها التاريخ خرجت الطالبات في الكليات والمدارس الثانوية في مظاهرة كبيرة لدعم مظاهرات طلبة المرحلة الإعدادية ضد الاحتلال البريطاني، ليأتي عام ١٩٥١ وبعد أن قرر مصطفى النحاس باشا زعيم حزب "الوفد" إلغاء معاهدة ١٩٣٦ لتقوم نساء مصر بالدعوة إلى مقاطعة المنتجات الأجنبية، بل وصل الأمر إلى تنظيم وقفات أمام المحلات والبنوك الأجنبية لمنع العملاء والزبائن من الدخول إليها.

وكذلك اشتهرت "درية شفيق"، التي قادت فرقة من النساء للانخراط في المقاومة ضد الاحتلال الإنجليزي بمنطقة قناة السويس عام ١٩٥١، وانضم إليها أكثر من ألفي فتاة.

نضال متعدد الأوجه

إنّ النضال السياسي والمقاوم للإحتلال للمرأة المصرية بدأ من مشاركتها في الدفاع عن بلدها إبان الحملة الفرنسية؛ بإلقاء الماء والزيت المغلي من فوق أسطح البيوت على جنود الاحتلال، وهو الأمر الذي تكرر مع حملة فريزر البريطانية.

فهي شاركت في الجمعيات السرية التي كانت بمثابة التمهيد للثورة العرابية، كجمعية حلوان، وحركة مصر الفتاة، حيث قامت النساء بتوزيع ما يقارب من عشرين ألف منشور، وتولين عملية نقل الأنباء بطريقة سرية. لذا لا يمكن إنكار الدور الحيوي الذي قامت به المرأة المصرية إبان ثورة ١٩١٩، "والذي لم يكن حكراً على نساء الطبقة المخملية من زوجات الزعماء والباشوات، إذ أن أول شهيدة مصرية هي حميدة خليل، كانت امرأة من عامة الشعب، بل إنّ معظم شهيدات ثورة ١٩١٩ كن من الأقاليم". كذلك كان للنساء المصريات "السيناويات" - نسبةً لأهالي منطقة سيناء المصرية المحاذية للحدود مع فلسطين المحتلة- دوراً بارزاً في حرب الاستنزاف ضد اسرائيل، حيث اشتركت الكثيرات في منظمة سيناء العربية، وشاركن في نسف القطارات وزرع الألغام وتفجير السيارات، بجانب دورهن في تهريب الديناميت والمتفجرات لأعضاء المنظمة.

النساء قمن بدور كبير في الحرب الشعبية ضد الحملة الإنجليزية الإجرامية عام ١٨٠٧ (حملة فريزر)، التي تم سحقها، وطردها من مصر تجر أذيال الهزيمة والخزي، والتي صارت مضرباً للأمثال في المقاومة الشعبية ليس في مصر فقط ولكن في كل العالم

● مراقد مقدسة

مرقد السيدة نفيسة (ع) ...أول مساجد «أهل البيت» في مصر

الوفاق/ وكالات

للسيدة نفيسة (ع) محبة لا يمكن وصفها بالكلمات، وإنما تعبر عنها المشاعر الفياضة التي تظهر على وجوه محبيها عند زيارة مرقدها الشريف، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ففي كافة ربوع مصر يعشق الناس السيدة نفيسة وسيرتها العطرة، فضلًا عن أن التوسل بها والتبرك بحسن خصالها وحسبها أصبح بالفطرة لكل من يأمل أن تتحقق أمنياته أيًا كان المراد.

يقع مسجد السيدة نفيسة في المنطقة المقامة بإسمها في محافظة القاهرة المسماة قديمًا بدرب السباع، ويقع في بداية الطريق المسمى طريق أهل البيت(ع) وهو طريق شهير يبدأ بمقام زين العابدين(ع)، وينتهي بمشهد السيدة زينب بنت علي(ع)، مروراً بالسيدة نفيسة والسيدة سكينة بنت الحسين، والسيدة رقية بنت علي بن أبي طالب(ع) ومحمد بن جعفر الصادق (ع) والسيدة عاتكة عمة الرسول محمد(ع).

المشهد النفيسي

وهو مرقد السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب(ع).

ودفنت السيدة نفيسة في منزلها الذي هو مرقدها الآن وأراد زوجها أن يحملها ليدفنها في المدينة مع أجدادها فسأله أهل مصر أن يتركها لتدفن عندهم من أجل التبرك بها، ومزارها اليوم من أشهر مزارات أهل البيت في مصر ويقام لها مولد كبير.

إنشاء المشهد النفيسي وتجديده

تشير أغلب المصادر التاريخية إلى أن أول من شرع ببناء مشهد السيدة نفيسة هو عبيد الله بن السري والي مصر من قبل بني العباس، ثم أعيد بناء الضريح في عهد الدولة الفاطمية حيث أضيفت له قبة، وقد أعيد تجديدها في عهد الحافظ لدين الله الفاطمي بعد أن تهالك جزء منها وتعرضت لبعض التصدعات والشروخ .. وتم إكساء المحراب بالرخام ايضاً سنة ٥٣٢هـ.. وتأسس المشهد المبارك بالشكل الذي هو عليه الآن عام ١٣١٤ هـ بناء على توجهات أمر بها خديوي مصر عباس حلمي الثاني، وذلك بعدما أتلف المسجد على أثر حريق هائل عام ١٣١٠ هـ وهو يحمل الطراز الفاطمي المميز في العمارة الاسلامية.

أما عن شكل المشهد فهو كما العمائر الاخرى الموسومة بالطراز الفاطمي التي تتميز بتعدد الصحون واستخدام التغطيات المقبية وتعدد المحاريب في بناء الجدران الداخلية، اضافة الى الاحتفاظ بنمط المآذن المميز الذي ظهرت فيه لأول مرة في تأريخ العمائر الاسلامية الافاريز المزدوجة والمقرنصات التي تدور حول الطابق الاول من بناء المئذنة .

والمسجد له مدخل للرجال ومدخل للنساء وحديثًا تم تجديد المدخل وفرشه بالرخام الفاخر، وفي داخل المسجد ممرٌ طويل يصل إلى المقام الشريف وفي هذا الممر يوجد لوحات مرسومة تنطق بحب آل بيت النبوة الأطهار(ع) وبعض الأشعار الرائعة في مدحهم كما جُددت المقصورة النحاسية الموجودة بالضريح في عهد والى مصر عباس الأول.

دفنت السيدة نفيسة في منزلها الذي هو مرقدها الآن، ومزارها اليوم من أشهر مزارات أهل البيت (ع) في مصر